

# بين لغتنا الأدب ولغتنا الإعلام

## وليد أوبكر

«وسيلة» التعبير في مجتمعنا « من وجهة نظر حتمية سابير وورف<sup>(٣)</sup>، فهل كل هذه القيمة يمكن أن تعطى للوسيلة. أم أن ما فطنت إليه الكاتبة الأميركية سانورا راب حين ذكرت «أن الإشارة الى الكلمات باعتبارها «أداة»، تسيء الى الكلمات<sup>(٤)</sup>» هو الامر الأكثر قربا الى موقع اللغة؟

ان مثل هذه الإشارة - دون نسيان تعريف ابن جني - تدعو الى البحث عن مكانة أفضل، للغة، في عملية الاتصال الانساني.. تلك «العملية التي يتم بمقتضاها تفاعل بين متلقي الرسالة ومرسلها في اطار اجتماعي معين»<sup>(٥)</sup> ويبدو أن مثل هذا التعريف يعتبر الرسالة أداة، إذا تصوّرنا ان عناصر الاتصال ثلاثة: المرسل، المستقبل، الأداة..

يكون التساؤل: ماذا عن الآلة المرسل؟ أليست هي أداة الاتصال حقا، سواء أكانت جهاز النطق، أو الاذاعة، أو الصحيفة؟

وماذا عن الرسالة اذن؟ عن ماهيتها، وعن وظيفتها؟

ان اللغة مرتبطة بالرسالة. واللغة هي مادة الرسالة، هيولاهها، لا أداتها. والمادة لها بذاتها فعل، أكثر من كونها أداة.. «فالى جانب كون اللفظة رمزا. فان سامعها أو قارئها يجتبر شعورا، أو تداعيا فكريا ناشئا عنها»<sup>(٦)</sup>. فاللغة إذن ليست أداة جاهزة، بل بالعكس، هي «تلك الحادثة التي تملك بين يديها أعلى امكانيات الوجود الانساني» على حد تعبير هيدجر<sup>(٧)</sup>. والإشارة الى أنها «حادثة» تؤكد ما وصل اليه علماء اللغة، والاجتماع، من ان «اللغة بنت المجتمع» بمعنى أنها حادثة ولدت فيه، برموزها الصوتية التي تواضع الناس عليها، داخل المجتمع، وهي بالتالي: إرادية، سمعية، مكتسبة لا فطرية، تصدر عن قصد، لا عن طريق آلي<sup>(٨)</sup>. ألا يعني هذا انها تفكر أو أنها شرط أساسي للفكر<sup>(٩)</sup> الذي لا يكون في غيابها، ولذلك صارت خاصية إنسانية لان الانسان وحده يفكر، وولدت داخل المجتمع، ومن خلاله لان الانسان هو الكائن الاجتماعي الوحيد، وامتلاك اللغة يميزه عن الحيوان<sup>(١٠)</sup> لأنها - مرة أخرى - تحدد بصفة أساسية مجتة، محتوى الفكر<sup>(١١)</sup>؟

ان المحصلة المنطقية لكل هذا تجعلنا نعتبر اللغة مادة: هي مادة للتفكير، وبالتالي مادة للتعبير، ومادة للاتصال، لا أداة، وبذلك نعطيها قيمتها الاجتماعية التي تستحقها، وهي قيمة يمكن أن تتفق مع

ما الذي تعنيه اللغة داخل عملية الاتصال الانساني؟ إذا غاب التأمل، قيل إنها أداة اتصال، أو وسيلة له.. أو دعاء.. فهل اللغة كذلك حقا؟

إن اللغة، في محاولة أولية للتعريف عبارة عن مجموعة من الرموز الاصطلاحية القادرة على «الانتقال» بما تعبر عنه من أفكار، بين أفراد مجتمع انساني بعينه. هي «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» كما ذكر ابن جني، عالم اللغة العربي، في كتابه «الخصائص» قديما<sup>(١٢)</sup>.. وهي في النظرة - الحديثة - «نظام من الرموز الصوتية. تتمكن جماعة اجتماعية من التواصل بواسطتها»<sup>(١٣)</sup>.

النظرة الحديثة تقبل اللغة، كوسيلة، وحين تفسر النظرة العربية القديمة، تعطي لفظ «يعبر» معنى تعسفا يعني الأداة أو الوسيلة أيضا.. لكن التأمل قد يحول دون هذا المعنى..

وإذا كانت النظرة الحديثة - في علوم اللغة، أو فقهاها، أو الألسنة - تؤكد ان اللغة نظام، وضعي، أساسه الرموز الصوتية التي جرى عليها الاتفاق، وهدفه الاتصال.. فان كل هذه الأمور تثير التساؤل حول الإشارة الى اللغة كأداة: فهل هي أداة حقا.. في عملية الاتصال؟.

اللغة التي نتحدث عنها، هي اللغة الطبيعية. لغة الصوت الانساني، والحرف الذي اكتشفه الانسان، بعهد أن تحولا - بالتركيب، والتتابع، والتشكيل - إلى رموز. وهي ليست اللغة الوحيدة في حياة الانسان: لقد اخترع له لغات صناعية تناسب تطوره.. هي أيضا عبارة عن رموز اصطلاحية، لكنها ليست لغات طبيعية - مكتشفة - لأنها غير متصلة - على الأقل - بأعضاء الانسان، التي يعتبر كل ما هو طبيعي، امتدادا لها، وللكاتة.

فهل هذه اللغات الصناعية - كلغة الرياضيات، بمعنى رموزها - هي أدوات أيضا؟

التأمل يقود الى ان القول ان الاداة هي الآلة - طبيعية كانت أم صناعية - وان ما يوضع في الآلة، ليتحول، أولينقل، ليس لآلة نفسها، وليس الأداة، ولا الوسيلة، ولكنه شيء آخر تماما..

واللغة، من هذا المنطلق، شيء آخر، غير الأداة.. انها أعظم أثرا لاننا «في كل تفكيرنا، نقع تحت رحمة اللغة، لأنها أصبحت

التطور العربي القديم لتعريف اللغة - حين نحذف المعنى التعسفي للتعبير - مما يشير الى المدى العميق الذي وصله العرب في دراسة لغتهم، واللغات التي عرفوها..

واللغة ليست مادة جاهزة، وانما هي مادة أولية، مثل رموز الرياضيات التي قد تتحول الى معادلات مختلفة، ومثل رموز الكمبيوتر التي قد تتحول الى برامج، يغذى بها الجهاز، الآلة، أو الاداة، أو الوسيلة. وهي بذلك ليست وعاء للثقافة بل ما يحتويه هذا الوعاء لأنها المادة التي تملأه.

وباعتبارها مادة أولية، فإن اللغة لا تعني شيئاً، الا بعد تشكيلها، سواء أكانت أمجدية صوتية، كما عرفها انسان ما قبل التاريخ، أو أمجدية مكتوبة، بعد اكتشاف الكتابة، الذي بدأ معه التاريخ. وهي مادة أولية فريدة: لأنه «ليس هناك غير الأمجدية الصوتية التي تطابق حروفاً بلا أي معنى دلالي، على أصوات بلا أي معنى دلالي»<sup>(١٢)</sup> انها لا تخرج عن كونها بضعة «رموز جامدة لمادة الكاتب كلها، ولعمليات الاتصال الانسانية»<sup>(١٣)</sup>. وهي بالتالي تنتظر وسيلة الاتصال، حتى تعطى الحياة التي تنطلق من علاقاتها، ولعل هذا الواقع هو الذي حدا بمارشال ماك لوهان الى القول: «ان الوسيلة هي الرسالة»<sup>(١٤)</sup> بمعنى ان قدرة الوسيلة على خلق العلاقات بين رموز اللغة، هي التي تحيل المادة الأولية في اللغة الى رسالة، ذات معنى وهدف.. وكان ايمان ماك لوهان بهذه المقولة وراء تأليف كتاب حمل العنوان ذاته، وأضاف اليه عنواناً فرعياً يصفه بأنه «اختراع للمؤثرات»<sup>(١٥)</sup>.

اللغة اذن مادة أولية قابلة للتشكيل من خلال بناء علاقة بين الحروف لتشكيل ألفاظ ذات دلالات.. وعلاقة بين الألفاظ لتشكيل الجمل - المفاهيم. والوسيلة هي أداة التشكيل. وضمن هذا النسلسل يمكن أن نقبل تعريفاً حديثاً للغة، بعد تغيير بسيط فيه، يتفق مع ما وصلنا اليه. فاللغة «منظومة مؤلفة من أصوات منظوقة - لها رموز مكتوبة - مترابطة وفقاً لقواعد بنائية معينة - حتى تكون المادة الأولية للاتصال - الفكري والعاطفي بين الناس»<sup>(١٦)</sup>.

هذه المادة الأولية، القابلة للتشكيل، قابلة للتغير ايضاً، بتغير الوسيلة، إضافة الى ما يعترها من تغير، كظاهرة اجتماعية، تبعا لتطور الشؤون الاجتماعية»<sup>(١٧)</sup>.

## •• في الداخل والخارج

رموز اللغة - بذاتها - تكاد لا تعني شيئاً.. لأنها في الأصل لا تحمل معنى، الا اذا قامت بينها علاقات. لكن هذه الرموز «واضحة، مرنة، قابلة لانتاج قواعد جديدة»<sup>(١٨)</sup> عندما تحيلها العلاقات للتعبير عن مدلول اجتماعي. ان الحياة تدبّ فيها من خلال هذه العلاقات التي تحيل الاشارة الى مدلول، يدخل في النسق الاجتماعي ويعايشه.

لقد قيل - مجازاً - ان اللغة كائن حي، ويبدو أن منطلق هذه المقولة يستند الى وجود اللغة في المجتمع او استخدامها فيه، بتعبير أدق، مما يجعلها تتأثر بما تتأثر به كل الظواهر الاجتماعية، من

ولادة، وتغير مستمر، وموت.

والتطور مبدأً أساسي في النسق الاجتماعي، يمكن تعميمه على كل ظواهره، بما في ذلك اللغة، لأن «ممارسة اللغة»<sup>(١٩)</sup> في المجتمع حياة فيه، تحوّلها إلى جزء من الحركة الاجتماعية، التي لا تعرف الثبات.

إن «حياة» اللغة لا تكون من خلال رموزها، وانما من خلال تراكيب جديدة تشير إليها هذه الرموز، فالحرف - بذاته - ليست له من الحياة الاجتماعية الا ما يمكن أن يحدث من تغير في بنائه الصوقي بسبب البيئة، أو الوراثة، بينما تشير الكلمة - عادة - إلى مدلول.. وعندما تتسع العلاقات، لتكون بين الكلمات، يتسع المدلول ذاته، ويصبح تفاعله مع المجتمع أقوى، لأن «المفردات الخاصة ليست سوى مظهر واحد من مظاهر الدور الذي تقوم به اللغة.... فهناك بالطبع طريقة تركيب الجمل، وأسلوب الترابط بينها قواعدياً ومنطقياً»<sup>(٢٠)</sup>.

ان الأسلوب هو البناء الاجتماعي للغة، والأسلوب «اختيار نماذج قواعدية، وتسلسل هذه النماذج، واختيار المفردات اللغوية، وتجنب الأخرى لزوماً»<sup>(٢١)</sup>.

هذا الاختيار يعتبر واحداً من أهم أسباب التغير في اللغة. انه اختيار اجتماعي، يخضع لعدد من العوامل التي تغلب نموذجاً على نموذج، أو مفردة على مفردة. وفي الظروف الاجتماعية المتغيرة مع الزمن، يصبح الاختيار ذاته متغيراً. وفي الاختيار إمكانيتان: القبول، والتجنب. والقبول يعني بقاء النموذج أو المفردة في الممارسة، وفي الحياة، بينما يعني التجنب غيابها عن الممارسة، وموتها.

ان هذا الاختيار حركة مستمرة، تنفي الثبات والسكون عن أية لغة<sup>(٢٢)</sup> كما تنفي الثبات والسكون عن أي عنصر من عناصر اللغة، لأنها جميعاً قابلة للقبول أو التجنب، سواء أكان ذلك في النماذج أو في المفردات. فالتغيير يصل في اللغة الى «أصواتها وقواعدها ومتنها ودلالاتها»<sup>(٢٣)</sup>. ولعل من الأمور الواضحة التي تمكن ملاحظتها ان اللغة العربية اليوم «لم تعد اللغة التي يعرفها الباحثون في التراث العربي القديم، فقد أصابها كثير من التغيير، في معجمها، وفي طريقة بناء الجملة فيها»<sup>(٢٤)</sup> وهو تغيير فرضه تغير الحياة ذاتها، وبالتالي تغير اللغة للتعبير عما جدّ فيها.

والتغير، في معظمه، يحدث من خلال ارتباط اللغة بالمجتمع، وممارستها لوظيفتها التعبيرية التواصلية فيه. فاللغة كظاهرة اجتماعية مكتسبة، تنطبق عليها المبادئ التي تنطبق على الظواهر الاجتماعية عامة<sup>(٢٥)</sup>، واذا كانت حياة الانسان، كما يرى فيرث، «تتطلب منه القيام بأدوار مختلفة، ومعايشة مواقف متنوعة، مما يفرض عليه تكيفاً لغوياً مع هذه الأدوار والمواقف»<sup>(٢٦)</sup> فان هذا التكيف هو الذي يربط اللغة بحياة الانسان في مجتمعه، في سكوتها، وحركتها، وفي تجديدها، وجودها أيضاً، لأن «مثل الكلمة كمثل الحياة التي هي امتداد لها»<sup>(٢٧)</sup>.

والتغير مركب، مثلما الظاهرة الاجتماعية نفسها مركبة، ومثلما اللغة، كظاهرة اجتماعية، مركبة أيضاً. واذا كان التغير الذي يلحق بالرموز الأولية - الصوتية - خاضعاً لعوامل فيزيائية طبيعية،

والاستقرار، لأن اللغة مجرد ذاتها ليست الامادة أولية، قابلة للتشكيل، فهي في الفن - مثلا - ليست فنا، وانما «اختيارها هو الذي يعطيها الأسلوب حتى يرتفع بها إلى درجة الفن في الشعر والدراما والنثر الفني»<sup>(٣٥)</sup>.

وإضافة الى الاختيار الواعي في هذا المجال، تدخل العادات والقيم كطرف أساسي في القبول، والاستبدال.. ففكرة «استعمال الكلمة في مدلول ما، لحدوث ما يدعو إلى ذلك في شؤون الحياة الاجتماعية، وما يتصل بها، يجردها - مع تقادم العهد - من مدلولها الأصلي، ويقصرها على الناحية التي كثر فيها استخدامها»<sup>(٣٦)</sup>.. فكلمة بريد - مثلا - لم تعد تعني الدابة التي تحمل عليها الرسائل، وكلمة اليأس لم تعد تعني الحرب، وهكذا. وينطبق هذا الأمر على الاستعمال المجازي للكلمة، الذي يؤدي في الغالب الى انقراض معناها الحقيقي وحلول المعنى المجازي محله، فهكذا صارت الوغى تدل على الحرب بدلا من أصواتها، وصار المجد لا يدل على امتلاء بطن الدابة بالعلف.

كما أن القيم الشائعة داخل جماعات بعينها، كثيرا ما يعبر عنها بالألفاظ اللغوية الشائعة لاستعمال بين أعضائها<sup>(٣٧)</sup> لدرجة أن بعض هذه الجماعات قد تشكلت لها لغات خاصة<sup>(٣٨)</sup> كما هو الحال لدى رجال القانون، والأطباء، ورجال التعليم والاقتصاد، والعلم، إضافة الى بعض أصحاب الحرف. «وهذا النوع من اللغة ينمو وينتشر لتوفير عبارات تعطي احتياجات لغة خاصة، حقيقية أو متصورة، عند الجماعات المعينة»<sup>(٣٩)</sup>.

ولا يتوقف الأمر هنا عند الألفاظ، وانما يتعداها إلى التركيب لأنه «إذا صار التركيب المستعار مثلا يحتذى، وفرض على العقل صورة كلامية معينة، كانت اللغة، في هذه الحالة، قد أدخلت في نظامها وسيلة صرفية جديدة، وقد يصل الأمر باللغة إلى إقصاء وسيلة سابقة»<sup>(٤٠)</sup>.

والنتيجة هي: أن اللغة تتطور، وان تطورها حتمي، لا يمكن إيقافه، وان كل لغة لها ظرفها الخاصة في التطور، وان هذا انطور يتم من خلال الاستعمال، أو الإيهال، ويشمل كل عناصر اللغة.. ولما كانت اللغة فعلا في المجتمع، فان استعمالها يعني الاتصال.. وللاتصال وسائله القديمة والحديثة، التي تعتبر اللغة مادتها، فتؤثر من خلالها وتتأثر..

فالى أي مدى يمكن لهذه الوسائل أن تؤثر على بنية اللغة، وإلى أي حد يمكن أن تختلف اللغة في الوسيلة المحددة، عن اللغة ذاتها، في الوسيلة الأخرى؟

لقد سبق أن أشرنا إلى مقولة «ان الوسيلة هي الرسالة» وأن وصلنا الى نتيجة مؤداها ان الرسالة هي مدلول اللغة التي تعبر عنها، على اعتبار أن اللغة هي الامادة الأولية التي تتشكل منها الرسالة. ولما كانت وسائل الاتصال تختلف، باختلاف أساليبها، واهدافها، فان النتيجة المنطقية لذلك هي ان لغة كل وسيلة تختلف عن لغة الوسيلة الأخرى، لأن كل وسيلة تشكل مادتها الأولية بالشكل الذي ياسبها، ويجعل قدرتها على توصيل الرسالة أفضل..

لان الانسان جزء من الطبيعة، ولعوامل فيزيولوجية. لأن الانسان كائن حيواني، ولعوامل نفسية، لأن الانسان كائن مفكر، الا أن مثل هذا التطور يكون بطيئا إذا ما قيس بالعوامل الأخرى، الخارجية المكتسبة.. التي قد تعمل ببطء مرة، وقد تعمل بسرعة مرة أخرى، وهذه العوامل مرتبطة بالاتصال، الوظيفة الأساسية للغة.

ان اللغة تنتقل - في الأجيال - عن طريق المحاكاة، وهي في الغالب لا تكون متطابقة، مما يفتح احتمال التغيير، كما أن ميل الانسان «إلى الاقتصاد في الجهد»<sup>(٤١)</sup> يغلب هذا الاحتمال، مع مرور الزمن، إضافة الى ما للفروق الفردية من آثار، في التغيير أولا، ثم في نقل هذا التغيير بالاتصال ثانيا.. وهذا التغيير البطيء قد يكون مستمرا، إلى الحد الذي يجعل اللغة ذاتها تنتقل من نظام لغوي الى آخر، كما حدث للفرنسية لدى انفصالها عن اللاتينية.

والاتصال لا يكون معزولا داخل المجتمع ذاته، وبين أفراده - أصحاب اللغة الواحدة - وحسب، وانما يمتد ليصبح اتصالا بالمجتمعات الأخرى، وباللغات الأخرى، بدرجات متفاوتة. فالمجتمعات المتجاورة - مثلا - يكون التأثير المتبادل بين لغاتها قائما، خاصة اذا كانت تنطلق من أساس لغوي واحد، وهذا واضح في عدد الكلمات المشتركة بين اللغات في منطقة متجاورة المجتمعات (العربية، الفارسية، التركية) كما هو واضح في وجود العديد من المفردات الهندية في لهجات منطقة الخليج العربي، بسبب الاتصال التجاري عبر العصور.

ولكن هذا التأثير قد يكون كبيرا في أوقات معينة، فاذا كان التأثير المتبادل بين اللغات المتجاورة يظل ضمن الاضافة المعجمية، فانه قد يزداد، حتى يصبح تأثيرا في البناء والقواعد، نتيجة ظرف سياسي. كما حدث عندما توحدت اللهجات العربية، في لغة قريش، مع ظهور الاسلام، وكما أصبحت لغة أثينا هي اللغة السائدة في بلاد الاغريق، بعد أن توحدت تحت سلطة مقدونيا<sup>(٤٢)</sup>. كما ان مجرى التغيير في حقل اللغة يكون أكثر اندفاعا وسرعة أثناء سيطرة أمة على أمة، ذلك أن لغة الغالبين... قد تقضي على لغة الشعوب المغلوبة<sup>(٤٣)</sup>. اذا لم تكن هذه اللغة قادرة على الصمود.

والتغيير يحدث - بطيئا أو سريعا - في جزئيات اللغة، وكلياتها.. يحدث في الامادة الصوتية، وفي القواعد الصرفية والنحوية، وفي المعجم. الذي يعتبر أقل صلابة، وأكثر قدرة على الاقتباس أو المقايضة.. وبالرغم من «أن كل لغة لها نظامها الفريد، الذي يختلف عن أية لغة أخرى»<sup>(٤٤)</sup> الا أن التغيير لا بد وأن يلحق بكل لغة، لأن التطور في اللغة عالمي ومستمر ومنظم<sup>(٤٥)</sup>، حتى ولو كان بطيئا يصعب الاحساس به.. في بعض الأوقات لأن «إيقاعه يختلف باختلاف الظروف»<sup>(٤٦)</sup>.

مثل هذا التغيير نستطيع أن نلاحظه بقليل من التأمل في بعض بديهيات اللغة، وبعض مظاهرها. فنحن نستطيع ان نلاحظ ان «معاني المفردات لا تكاد تستقر على حال، لأنها تتبع الظروف والأحوال المتغيرة التي يمر بها الفرد أو المجتمع»<sup>(٤٧)</sup> واللغة غير قادرة على مقاومة هذه الظروف، وهي بالتالي غير قادرة على الثبات

واعلام هادف، إن جاز التعبير، حيث غدت كلمة الشعر في الرأي، يوماً، نافذة قوية تؤثر فيه وتوجهه، كما تؤثر الصحافة في الرأي العام وتوجهه في أيامنا هذه<sup>(٤٦)</sup>. أما في اليونان القديمة فقد «وضعت قواعد للخطابة الناجحة واغراء السامع»<sup>(٤٧)</sup> كما درست آثار الخطابة السياسية في رومل، القديمة.

لكن الأمر ظل يتغير، مع اختراع وسائل جديدة للاتصال، تقوم بمهمة الاعلام وتترك للأدب مهمة أخرى مختلفة. ومن المعروف انه كلما زاد الاتصال، زاد تغير اللغة<sup>(٤٨)</sup> وزاد ميلها الى التخصص. وقد زادت وسائل الاتصال طاقة وتنوعاً في العصر الحاضر بحيث استطاع الاعلام الحديث أن يجول العالم الى قرية<sup>(٤٩)</sup>. ولأن «الوسيلة هي الرسالة» فان وسائل الاعلام، ورسائله، قد استقلت عن الأدب، بالتدريج.. فصارت « هناك أساليب مختلفة للغات المستعملة في الأغراض المختلفة » وإذا كان « كل ما نفعله موسيقي » على رأي جون كيج<sup>(٥٠)</sup>، فان الأخرى أن يكون كل ما نقوله - أو نكتبه - لغة، موسيقي، وأن كل وسيلة من وسائل الاتصال، لها موسيقاها الخاصة، وانها في الاعلام تختلف عنها في الأدب.

ولعل هذا يشير إلى بعض الخلل في فهم طبيعة الأدب، واختلافها عن طبيعة الاعلام - لغة وأهدافا - لدى بعض الدراسات التي أصرت على أن تجعل الشعر وسيلة اعلامية معاصرة<sup>(٥١)</sup> أو أن تعتبر « الصحافة ملتقي مصاب الكتابة جميعا »<sup>(٥٢)</sup>.

صحيح ان هناك بعض التداخل بين وسائل الاعلام والأدب، ولكن هذا التداخل لا يزيد عن كونه نقلاً. فوسائل الاعلام تقدم الأدب، وهي قد تفعل ذلك دون أن تغير في صورته، كما هو الحال في الصحافة الأدبية، أو الصحافة التي تنشر الأدب، كما قد تفعله بعد أن تخضع الأدب لمقاييسها، كما في بعض الأحاديث الاذاعية، أو مقالات النقد، أو كما يحدث غالباً في تطويع الكتابات الروائية للرواية التلفزيونية وفي مثل هذه الأحوال يكون التأثير متبادلاً بين وسيلتي الاتصال، فلا الرواية - مثلاً - تبقى كتاباً، ولا وسيلة الاعلام (التلفزيون) تفرغها تماماً من لغتها ومحتواها.

لكن هذا التداخل، الذي قد يخلق في المستقبل، نماذج جديدة من وسائل الاتصال، ليس هو مجال بحثنا. ان البحث يتعلق بالاعلام، وخصائص لغته، والأدب، وخصائص لغته، في حالة كل منها المثالية. وفي هذا الاتجاه تؤكد على أهمية من يستخدم اللغة في كل مجال<sup>(٥٣)</sup>، وكيف يستخدمها، لتشير بعد ذلك إلى أن الخلل في الفهم انما يكون في جزء كبير منه نتيجة لممارسة مهنة اليوم بأدوات الأمس، ومفاهيمه<sup>(٥٤)</sup>.

فما هي أدوات الاعلام المعاصر، ومفاهيمه، وما هي أدوات الأدب ومفاهيمه.. وكيف سارت بها هذه الأدوات والمفاهيم حتى خلقت بينها فروقا في اللغة؟

## ●● لكل حقيقته:

تقع الذات الابداعية كمرکز هام في العملية الابداعية<sup>(٥٥)</sup>، ثم تتجه الى الآخر، من خلال عملها الابداعي الأدبي في مجال بحثنا، بينما تبدأ العملية الاعلامية من الآخر، لتتجه إليه بعد ذلك.

ومن هذا يصبح اعتبار « كل وسيلة ».. « لغة » من اللغات، تستخدم رموزاً مميزة في توصيل رسائلها الى الجمهور<sup>(٥٦)</sup> أمراً يستحق التأمل، كما ان اشارة ادموند كارنتر إلى ان « وسائل الاتصال لغات جديدة »<sup>(٥٧)</sup> تدخل في هذا السياق. فاذا كانت « الرموز » التي تستخدمها وسائل الاتصال اللغوية متشابهة كأساس، فان خلافات لا بد وأن تطرأ عندما تتحول هذه « الرموز » الى أساليب تناسب الوسائل المستخدمة في نقل المفاهيم، فتنشأ بالتالي « لغة » لكل وسيلة، قد تلتقي كثيراً مع « لغة » الوسيلة الأخرى، ولكنها لا بد وأن تختلف بدرجة أو أخرى. وبهذا نصل الى تحديد أساسي، يمكن أن تتولد من خلاله نتائج. هذا التحديد، كتطبيق لما سبق، يقول: ان كل وسيلة من وسائل الاتصال لها لغتها الخاصة، فالاعلام له لغته الخاصة إذن والأدب له لغته الخاصة أيضاً.. واذا كان الأصل يستند إلى لغة واحدة، فان المحصلة بعد ذلك تكون في وعود فروق أساسية بين لغة الاعلام، ولغة الأدب، تتبع من استعمال اللغة في كل منها. بأساليب مختلفة، ترمي إلى أهداف مختلفة أيضاً..

وحتى نصل إلى تحديد ما لهذه الفروق، لا بد لنا من الاشارة إلى الأساليب، وإلى الأهداف، التي تتشكل بها، ومن أجلها، الرموز الأولية للغة.. لتصبح ذات معنى، وفاعلية.

## ●● من قبل:

إن الهدف الأساسي من الاتصال هو التأثير: تأثير المتصل، من يتصل به من خلال الرسالة التي يوصلها إليه. ووسائل الاتصال ليست الا محاولات متطورة عبر الزمن لتسهيل إحداث هذا التأثير.

والوسائل في مجملها، محاولة لتوسيع قدرة الانسان على الاتصال، عبر الزمن، وعبر المسافات. فكل « وسائل الاتصال امتدادات للمكاث الانسان الجسدية أو النفسية »<sup>(٥٨)</sup>. وقد كانت محدودة أول الأمر بالاشارات الحركية أو الصوتية، وعندما تشكلت اللغة، صارت امتداداً لصوت الانسان، ولكنه امتداد محدود المكان محدود الزمان<sup>(٥٩)</sup>.. لا يرضي طموح الانسان الى ابلاغ رسالته الاجتماعية. فكانت الاذاعة امتداداً له، جعل المكان أكثر امتداداً، وجاء التسجيل ليفعل الفعل نفسه في الزمان.

وأمام محدودية وسائل الاتصال قديماً، كان تشابه اللغة فيها واضحاً، بل إن بعض الاستخدامات كانت مختلفة.. فالشعر العربي - مثلاً - رغم كونه أحد الفنون، كان وسيلة اعلام فعالة أيضاً، لأن الصوت الانساني كان وحده وسيلة الاتصال، ولذلك اعتبر الشاعر العربي صحيفة قبيلته، كما اعتبر اذاعتها - بتعبير احداث - وكانت القبيلة حريصة على وجود الشاعر لديها، كصوت اعلامي مؤثر، وكانت تضعه في المكانة الممتازة، لأن بيتاً واحداً منه كان يرفع من قدرها، وبيتاً في عدو لها كان يحط من قدره..

والى جانب الشعر، كانت هناك الخطابة، وهما معا يعتبران من أقدم وسائل الاعلام في المجتمعات الانسانية. فعند العرب، كان الشعر يؤدي الى حد كبير مهمة الصحافة والاعلام في عصرنا، « فشعراء الأمس ليسوا إلا رجال إعلام وصحافة، ولنا من الشعر السياسي والاجتماعي أصدق أمثلة على ذلك، فهو صحافة ملتزمة،

نقطة الانطلاق هذه تميز الأدب عن الاعلام، بدءاً من القصد، وانتهاء الى الأسلوب.. فالاعلام تعبير موضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه، وهو ليس تعبيراً ذاتياً عن شخصية رجل الاعلام، وإنما يقوم على الحقائق<sup>(٥٦)</sup>، وهو يهدف الى التأثير على موقف الكائن الانساني ودفعه الى التصرف على نحو معين<sup>(٥٧)</sup>، وهو يسعى الى ايقاظ وتنوير الناس من خلال تزويدهم بالأخبار والحقائق والمعلومات، وما يدور من أحداث ووقائع<sup>(٥٨)</sup>، وهو حين يهتم بنشر الحقائق والأفكار والآراء... يهدف إلى التفاهم والإقناع وكسب التأييد<sup>(٥٩)</sup>.

الاعلام إذن، يبدأ مع الناس من حيث هم، وينشر مادته، التي تحمل أهدافها من أجل أن تعلمهم، فيتغيروا. فالاعلام من هذا المنطلق علم تطبيقي، يستند إلى علوم كثيرة في معرفة اتجاهات الناس، ويستفيد من الخدمة الاجتماعية والنفسية في تغيير هذه الاتجاهات وفق هدف محدد.

الاعلام إذن مهنة، ورجل الاعلام يمارس مهنة لها أساليبها الخاصة، التي تحتاج إلى الذكاء كما تحتاج إلى الدراسة والممارسة.

أما الأدب، فهو «بناء لغوي يستغل كل امكانات اللغة الموسيقية والتصويرية والابحائية والدالة، في أن ينقل إلى المتلقي خبرة جديدة منفصلة بالحياة»<sup>(٦٠)</sup> وهو يستهدف التكوين المعنوي للكائن البشري<sup>(٦١)</sup>، ومؤثراته تتبع من داخل الأديب، أما المؤثرات الاجتماعية فتصبح حقائق ثابتة من مكونات الأديب أولاً<sup>(٦٢)</sup>. والتعبير الأدبي ليس هدفه تعدد حقائق ولا تقرير وقائع، بل نقل موقف عاطفي<sup>(٦٣)</sup>.

الأدب إذن فن، ورجل الأدب فنان يمارس فنا له أساليبه الخاصة التي لا تكفي بالذكاء والدراسة والممارسة، وإنما تحتاج الى موهبة الفنان، لأن «الذكاء المحض قد يكون وسيلة اتصال تؤدي الى الاقناع. ولكن الذكاء في الكتابة الأدبية يجب أن يكون عاملاً مساعداً للحساسية»<sup>(٦٤)</sup>، التعبير المادي عن الموهبة.

ورؤية الفن في المجتمع، مختلفة تماماً عن وظيفة المهنة.. واختلاف الوظيفة يؤدي الى اختلاف الاداء.. وبالتالي الى اختلاف اللغة مفردات وأساليب، خاصة وان وظيفة الأدب تفرض عليه اتصالاً بفئات تختلف عما يفرضه وظيفة الاعلام، ولأن اللغة، هي مادة الاتصال، فان الاختيار لا بد وأن يكتفيها، لتصبح مناسبة لنقل الرسالة، بين المرسل والمتلقي.

#### • ومنا إلى:

لعل رسالة الاعلام، حين تتوجه بخطابها تقول: أنا أعرف ما أنت فيه من واقع فتعلم. أما رسالة الأدب فتقول: أنا أعرف نفسي فيك، فتأمل.

وبين أن يتعلم الانسان ما يقدم إليه، ويقتنع به، ويقبل من خلال القيام بعمل، أو الامتناع عنه.. بين ذلك، وبين أن يتأمل ذاته من خلال ذات المرسل التي تكشف عنها الرسالة، لأن الكتاب صوت شخصي<sup>(٦٥)</sup>. مسافة في الزمن، والتعلم، والمعرفة، والوعي، هي المسافة التي تفصل قارئ الأدب عن متلقي الرسالة الاعلامية. فمن

«النادر أن يكون الموضوع الأدبي له قيمة بالنسبة لكل الجماهير في نفس الوقت، فالعمل الأدبي عادة يخاطب جمهوراً له ثبات نسبي»<sup>(٦٦)</sup> والادب أسلوب تكتبه طبقة متملمة لتقرأ طبقة متملمة<sup>(٦٧)</sup> لأسباب اجتماعية، بينما يكون الاعلام لكل الطبقات، لذلك يبدو واضحاً ان الانسان هو الذي يسعى الى الأدب، بينما يسمى الاعلام الى الانسان. وبسبب اختلاف طبيعة الاتصال، فان لغة الاتصال تختلف. ان الاتصال اختيار في حالة الأدب، اختيار من المتلقي، بينما هو فرض من المرسل في حالة الإعلام، لذلك فإن الأدب يملك حريته في أن يختار كلمته، بينما تكون لكلمة الاعلام شروط مسبقة: أن تكون مفهومة من قبل كل من تتوجه إليهم في المجتمع: كل الناس، إذ أن «كلما اتسع الجمهور وتباين أفراد، دعت الحاجة إلى لغة أكثر شمولاً»<sup>(٦٨)</sup> وهذا يفترض اهتماماً باللغة التي يفهمها كل الناس، الذين يختلفون في المهنة والسن والتعليم والثقافة، لأننا لا يمكن أن نكسبهم ونحتفظ بهم على أساس الاهتمام بالموضوع فحسب<sup>(٦٩)</sup>.

لغة الأدب إذن مختارة، شخصية مختزلة، فعمق التجربة الأدبية لا يتضح الا من خلال أقل عدد ممكن من الكلمات، خاصة في الشعر<sup>(٧٠)</sup> وهي لغة راقية<sup>(٧١)</sup> تتسم بثبات نسبي، لأن تغييرها أقل من غيرها<sup>(٧٢)</sup> لأن من المعروف ان وجود الأدب في المجتمعات الانسانية يشكل عائقاً لعملية التغيير<sup>(٧٣)</sup>، دون أن يمنعها كلياً.. بينما تتجه لغة الاعلام الى الاستفادة من اللغة المحكية، في محاولة للاقتراب من الناس، وكثيراً ما تدخل فيها اللهجات<sup>(٧٤)</sup>.

ربما لهذا السبب كانت لغة الاعلام أسرع تطورا، وان كان تطورها لتأدية المهنة ينبع من الأهداف التي تضعها في خطتها وتحاول من خلالها أن تصل الى أكبر قطاعات المجتمع، لتؤثر فيها. وهذه الأهداف، التي تشكل عوامل نجاح الاعلام، أو مقومات الاعلام الناجح، تهتم باللغة، فهو اعلام يتسم بوضوح المنهج، ويعتمد الصدق في مخاطبة الجماهير، ويعبر عن هذه الجماهير بأبسط السبل المفهومة والمقنعة<sup>(٧٥)</sup> كما أنه يعتمد على عامل التكرار، والاستمرار، والتغيير<sup>(٧٦)</sup> بما يناسب حال من يتوجه اليهم. ولغته وتوجيهية. دقيقة في التعبير، مفهومة «لأنها لا تكون فاعلة اذا كانت أعلى من جورها في الوقت الذي يتم فيه الاتصال»<sup>(٧٧)</sup>.

ولعل مفتاح التعرف على لغة الاعلام يكمن في التعرف على الجمهور الذي تتجه إليه، في زمان محدد، ومكان محدد. مجدداً معاً المستوى الثقافي لهذا الجمهور، واهتماماته، وامكانيات التغيير لديه. ولما كان المستوى الثقافي يخضع لعوامل الزمان والمكان، ولما كانت وسائل الاتصال الاعلامي تتغير، فان لغة الاعلام نفسها تخضع لهذا التغيير أيضاً.. حتى لا تفقد صلتها بالناس.

#### •• الطريق العام:

لقد أصبحت للاعلام أهميته الكبرى في العصر الحديث، فاعتبره المؤتمر الذي عقد في كندا بسري لانكا في ابريل ١٩٧٦ بأنه «عامل اجتماعي وليس سلعة تجارية» واوصى بأن «يمكن المواطنين من الفهم الشامل لواقعهم بكامل أبعاده، حتى يمكنهم من أن يتفهموا

١ - الألفاظ فيه ليست مقصودة بذاتها، وإنما بمقدار ما تحمله من دلالات. لذلك فهو يختار الألفاظ التي تعطي المعنى بدقة، ولا تكون خادعة، أو مجازية، فهو أسلوب صريح في التعبير عن موضوعه وواضح في اختيار أبسط الكلمات، لأن الكلمة ليس لها وزن إلا بقدر ما تحمل من معنى.

٢ - يتأثر هذا الأسلوب بالعوامل الخارجية تأثراً سريعاً، وهو يفترض مما حوله دون تردد، ومن كل المجالات التي تساعد في تحقيق مهمته الاخبارية، التفسيرية، التوجيهية، الترفيحية، التثقيفية، الاعلانية.. وهو في سبيل هذه المهمة يثري معجمه بالألفاظ العامية، والمعربة، ويدخلها ضمن نسقه اللغوي من ناحية التركيب (مثل اللامعقول) والاشتقاق (مثل أمرك).

ولا يقع هذا التأثير في الألفاظ وحسب، ولكن يدخل حتى في التراكيب اللغوية (لعب دورا هاما).

وقد أمكن حصر بعض الظواهر اللغوية التي أدخلها الأسلوب الاعلامي في اللغة.. واصبحت مقبولة فيه، ومن هذه الظواهر<sup>(٨٥)</sup>.

أ - عدم مراعاة التذكير والتأنيث في الصفات، من ناحية المطابقة، كما تفترض قواعد اللغة (الشعب الثورة - اللغات الجسر - الأمة الامل).

ب - الاستغناء عن حروف العطف (مهمته الاخبارية التفسيرية.. الخ) وهي طريقة تقلد اللغات اللاتينية الأصل، التي تضع الفاصلة بدلا من حرف العطف، الذي لا تضعه الا قبل المعطوف الأخير.

ج - فناء كلمات وتراكيب كثيرة، واستحداث كلمات وتراكيب كثيرة، خاصة فيما يتعلق بمجالات العلوم البحتة والعلوم الانسانية. ولعل قراءة أية قصيدة جاهلية تكفي للاحساس بحجم الكلمات التي ماتت - من ناحية الاستعمال الحديث، وقراءة أية صحيفة تشير الى الكم الجديد من الكلمات المستحدثة والتعابير، وهي في الغالب معربة.

وقد أثرت التعابير المعربة على البناء القواعدي للغة الاعلام في حالات كثيرة حتى فيما هو غير معرب من ألفاظ تدخل في التراكيب، وصرنا نسمع أو نقرأ عطفاً بين أداتي نفي (لم ولن) وصرنا نرى الفعل المبني للمجهول، وقد تبعه فاعله مسبوقاً بحرف جر أو ظرف (قبض على اللص من قبل الشرطة) وصرنا نلاحظ حروفاً تدخل في غير المواقع التي عرفت بها، وغير المعاني ايضاً (لم يقلوا حتى مناقشة الموضوع) وصار أفعال التفضيل في غير موقع التفضيل (أكثر من مرة) وكل هذه ترجمات لأساليب غير عربية<sup>(٨٦)</sup>. هذا بالاضافة الى استعارة بعض الصيغ العامية (أهلاوي) والتراكيب العامية (كان يقف لوحده).

٣ - يحتاج هذا الأسلوب الى مجهود عقلي لترتيب الافكار التي يرسلها للمتلقى بهدف اقتناعه، لأنه أسلوب يعتمد المنطق السليم والفكر الواضح، بعيداً عن الخيال. ولذلك فانه يختار الجمل القصيرة الواضحة، ويكرر ما يلزم منها في سبيل الاقتناع، وتقريب المعنى من الإفهام. وهو يعمد الى المباشرة، والدقة، والتقرير. ولذلك يعتبر أهدأ الاساليب اللغوية<sup>(٨٧)</sup>. أما الخيال فيدخل في ابتكار أسلوب الاتصال لا في مفرداته.

تفهما كاملا العمليات السياسية والاقتصادية، وكذلك الصراعات الكافية بالنسبة لهم على المستويين، الوطني والعالمي، وهذا تدعم قدراتهم على المشاركة في عمليات اتخاذ القرار». وأشار الى ان «الاعلام في نفس الوقت ضرورة اجتماعية، وعنصر لا غنى عنه للممارسة الكاملة لحقوق الانسان، ومن هذا المنطلق.. يجب أن يصبح اداة للتحرر بالنسبة للمضطهدين، وأن يكون بالنسبة للدول الصناعية وسيلة يمكنها بها أن تحرر نفسها من كافة الانحيازات العرقية التي تسودها الآن»<sup>(٧٨)</sup>.

هذه الأهداف تشير إلى المساحة الانسانية التي يفترض في الاعلام أن يغطيها، وهي بالتالي تشير إلى ضرورة وجود لغة تستطيع ان تغطي هذه المساحة، وتساعد على الفهم. فأية لغة تلك، التي تستطيع، اذا لم تكن نوعاً من الرموز السهلة، القادرة على التعبير. من أجل جمهور مشترك غير متجانس.

لقد بحث الاعلام الحديث عن هذه اللغة حقاً.. فأخذت تتقن، حتى تقاربت اصطلاحاتها، وأساليبها. لقد اختار الاعلام ألفاظاً ذات دلالات قاطعة، لا تحمل الاشارة التي تدل على المعنى، وتتجنب ازدواجيته<sup>(٧٩)</sup>. وأخذت هذه الألفاظ في المواقف المشابهة، وتحولت اللغة الاعلامية إلى لغة عامة، وأصبح التكرار إحدى سماتها. وفي مجال التدليل على أهمية التكرار يروي أريك بارنو<sup>(٨٠)</sup> ما حدث عندما طرح مشروع للدستور في الولايات المتحدة قبل انتخاب جورج واشنطن رئيساً، وهاجمه الناس.. ولكن كاتبين نشرا ٦٥ مقالة في صحف مختلفة، تزكي الدستور، فنجح.

وترتبط لغة الاعلام بالحياة اليومية للناس، وتأخذ منها، وهي حين تقدم معلوماتها تقدمها مرتبطة بمحاجات الناس ومطالبهم، ولذلك تتغير مع هذه الحاجات والمطالب، في المعجم، وفي الصيغ ايضاً، لانها تختار الألفاظ التي تؤدي المعاني المقصودة بدقة، وتقصد إلى الجمل القصيرة، والبسيطة التركيب. وقد أشار راندولف كويرك إلى التطور الذي حدث في الأساليب الاعلامية، فإشار إلى ان الصحافة تسير الى التشابه في أساليبها، كما ان الاذاعة قد تغير أسلوبها في التوجه الى الناس. فصار المذيع «يبلغ الأخبار، ولا يقرأها»<sup>(٨٢)</sup> مما أدى إلى تغير في اللغة، بدءاً من تغير القواعد في العناوين، فصارت جملاً دون افعال (اسمية) أو جملاً غير كاملة، أو جملاً عامية.. لدرجة ان أحد مستمعي الاذاعة البريطانية وصف لغتها بأنها «لغة فقيرة»<sup>(٨٣)</sup>.

ولما كانت المهنة هي صفة رجل الاعلام، فان ليس غريباً أن تخضع مهنته هذه لعاملين، كما تخضع أية مهنة أخرى: العامل الأول هو «الأتمتة»، التي تجعل مدى اتصاله أوسع باستمرار، وبذلك تجعله مسؤولاً عن التوجه إلى جمهور يتسع باستمرار. والعامل الثاني هو التخصص، الذي يميل تدريجياً الى استخدام لغة جديدة، وصفت بانها «الأسلوب التلفزيوني»<sup>(٨٤)</sup>. وهو أسلوب غير شخصي، يمكن أن يسمى بالأسلوب العملي، أو العلمي، في مقابل الأسلوب الأدبي..

هذا الأسلوب، أصبح من الممكن، بالاستقراء، تلخيص أهم سماته، التي تشكل بالتالي أهم سمات لغة الاعلام الحديث:

٤ - يتميز هذا الأسلوب بالموضوعية، أو ما يمكن أن يسمى بالصدق الموضوعي، لأنه يتجه إلى نقل الحقائق لا نقل التجربة الذاتية، حتى وإن اختار من هذه الحقائق ما يحقق أهدافه.

٥ - يتجه إلى التشابه والعمومية والمشاركة، لأن «العامل الأساسي في نجاح أية رسالة إعلامية هو التشابه والمشاركة في الخبرات والأفكار»<sup>(٨٨)</sup> ولعل مما تمكن الإشارة إليه في هذا المجال وجود صيغ أو نماذج عالمية، للرسائل الإعلامية، يلتزم بها غلاميون - كل في مجاله - كما هو الحال بالنسبة للخبر الصحفي أو الإذاعي مثلاً. وهذه النماذج تجعل لغة الخبر تتمتع على مفردات بعينها، فلا يعيب تشابه الأخبار عن متابعتها، رغم ورودها من مصادر مختلفة.

وهذا الاتجاه يفقد لغة الإعلام قدرتها على التفرد، خاصة إذا علمنا أن العمل الإعلامي عمل جماعي، وأن المؤسسات الإعلامية تفرض نوعاً من الوحدة على لغتها، وبذلك لا تكون هذه اللغة إبداعاً فردياً. ولا يكون الأسلوب، أسلوباً شخصياً.

٦ - قابلية هذا الأسلوب للتطور أعلى من قابلية غيره، لأنه بسبب احتكاكه المستمر بالجمهور، يكون أكثر مرونة، كما أن العوامل التي تدخل فيه، كلها قابلة للتطور، ولتطويره معها بالتالي (الموقف، العنصر البشري، الهدف، الموضوع، وسيلة التعبير).

وبسبب من مرونة هذا الأسلوب، تطور الإعلام بشكل واسع، من خلال إدراك قدرته على التأثير. وإذا كان نهرو قد قال: إذا أردت أن تقتنع شعباً، فعليك أن تخاطبه، ليس فقط بلغة لسانه، ولكن بلغة عقله وفكره<sup>(٨٩)</sup> فإنه قد لس أهم سمات الأسلوب الإعلامي، باعتباره أسلوباً عقلياً لا عاطفياً.. قادراً على أن يغير الحياة، لأنه يعرض عدم تماسكها كل يوم، وتنوعها<sup>(٩٠)</sup> ويستطيع أن يركز على جزئيات هذا التنوع، أو أن يمزج بينها، كما استطاع كاسترو «أن يمزج الدعاية بالتعليم بالترتبة السياسية ببراعة، بحيث يصب في أغلب الأحيان أن يمزج بينها»<sup>(٩١)</sup> فنجح إعلامياً.

إن الإعلام إذن. يأخذ الرموز الأولية للغة، مادتها. ويعيد تشكيلها وفق متطلباته وأهدافه... وهو بذلك يشترك مع الأدب في هذه المادة الأولية. فإلى أي مدى يفترقان بعد ذلك؟

### • • الطريق الخاص:

إذا كان الإعلام مهنة، تعتبر الكلمة إحدى مفرداتها اللغوية (لأن له مفردات أخرى، كالصورة والنغمة) وكان الأدب فناً للتعبير بالكلمة وحسب، فإن فوارق في هذا التعبير لا بد وأن تجدد، لأن للكلمة قيمة أعلى في الأدب، لا من خلال ما تؤديه من معنى وحسب، وإنما من خلال وجودها بذاتها في السياق، كمادة صوتية أو تشكيلية.

والأدب فعل فردي، ينطلق من تجربة ذاتية، ليصبح جزءاً من الذات، وليصبح التعبير عنه ذاتياً، يبدأ من الفرد، ليتجه إلى المجموع، وهو غالباً ما يتجه إليه فرداً فرداً، بسبب فردية التعامل مع الكتاب<sup>(٩٢)</sup>، الوسيلة الأساسية لتوصيل الأدب.

هذه الأسس تجعل التعبير الأدبي مختلفاً باختلاف صاحبه،

فيتنوع في أداء الأسلوب، لتصبح المقولة الإعلامية (الوسيلة هي الرسالة) مقولة مختلفة تشير إلى أن (الأسلوب هو الرجل). وهذا يعني أن أساليب التعبير الأدبي تميل إلى التنوع، بينما تميل أساليب التعبير الإعلامي في الشمولية. والتنوع يعطي كل أسلوب خصوصيته المطلقة، بل يجعل هذه الخصوصية أحد شروط الإبداع الحقيقي في الأدب، لأنه كفن، يسمى إلى الابتكار، لا إلى التقليد، في استخدام مفردات اللغة، واكتشاف تعابير جديدة من خلالها.

ولأن اللغة واحدة - باستثناء ما يعترها من تطور - فإن البحث عن أساليب جديدة من خلالها يكون بحثاً عما توحى به الألفاظ والتراكيب اللغوية. فلهذا الأدب موحية لا مقررة. «سؤال الأدب - الكتابة الإبداعية - ليس سؤالاً حول المفردات، بقدر ما هو سؤال حول تركيب وهدف اللغة. إن المعنى (وبالتالي الاتصال) ليس معلباً داخل الكلمات... إنه اختيار للجمل، وموسيقاها، وسرعة تدفقها، وديناميكيته واقتصادها وخيالها... والفهم التام بالقراءة يعني الاستجابة لكل هذه العناصر، لأن الكتابة الإبداعية تعتمد على فهم الدور - الذي تقوم به اللغة - والقدرة على استدعائه في الاستعمال»<sup>(٩٣)</sup>. وهذا الدور ليس بحثاً في حقائق الواقع، ولكنه محاولة لخلق واقع جديد، يحاكي الواقع القائم، دون أن يقصد تجسيد أحداثه، وإنما يعكس انفعال الأديب الحقيقي والذاتي بهذه الأحداث، من خلال إعادة تمثيلها، وإعادة صياغتها. في الأدب إذن، يفقد الحدث موضوعيته، لأن يصبح انعكاساً للتجربة على الذات، ثم خروجها منها إلى الواقع. إن الكاتب الأديب لا يكتب إلا من حلال تجربته، والكتابة الأدبية «تبدأ من الحواس، ويبقى أثر الحواس فيها ظاهراً»<sup>(٩٤)</sup>، فلا تتحول إلى صيغ عامة وإحصاءات. وكل شخص تنقصه الحواس اللاقطة الحادة، والاستعداد لاستخدامها يصعب أن ينتسب إلى الأدب، لأن هذه الحساسية هي وسيلته لخلق الصور، والصور وسيلته الوحيدة لجعل قارئه يحسّ ويسمع ويرى.

إن الصور هي وسيلة الاتصال بين الأديب وقارئه، وهذه الصور تتشكل في الذات الإبداعية من خلال الألفاظ، وترسل، ليقرأ المتلقي من خلالها. إن الصورة هي لغة الأدب، بدلاً من المفردة أو الجملة، وهي تختزل إدراك الكاتب للواقع، ثم تنعكس على إدراك القارئ. شبيهة للمدرك الأول.

فالكاتب الأديب، لا يتعامل مع مفاهيم أو معادلات للفكر، وإنما مع صور تولد من اهتمامه بالناس والأماكن والشاعر، «ومنزله الأديب لا يكون مقراً للأفكار، ولكنه منبع لها، لأن الأفكار يجب أن تنفذ من الشبائيك والامتلاء غرف المنزل»<sup>(٩٥)</sup>.

وعندما يجعل إنسان أديه مجرد أفكار، يدخل حافة «اللامقبول»... لأن الأفكار، وهي تملي، تعظ، ولكنها لا تمتع أو تقتنع، فالأفكار وحدها لا يمكن أن تكون دراماتيكية، ومن المفروض أن توضع في أشكال الناس والأحداث حتى تؤدي قوتها الطبيعية.. فاللغة في الأدب «تقتن» في الناس والأحداث حتى تؤثر، وماكبث على المسرح أهم من ألف موضوع عن الطموح، لأن الأدب أفكار «داخل اللحم والدم» لا داخل الكلمات وحسب...

ما يجعل هذه الكلمات - اللغة - موقعا جديدا، شديد الخصوصية، لا في وظيفتها وحسب، وإنما لدى كل من يستدعيها لتقوم بهذه الوظيفة. وبقدر ما تيسر لغة الاعلام في اتجاه العمومية والتشابه، تيسر لغة الأدب في اتجاه الخصوصية والتميز، فتصبح لكل أديب لغته، ويهتم كل أديب باختيار هذه اللغة، وبناء صورها الجديدة، حتى يصبح التكرار، الذي هو سمة في لغة الاعلام، موجودا في لغة الأدب - يوصف بالكليشيات - وهي اصطلاح صحفي معتمد - كما توصف تعبيراته بأنها مستهلكة، الا اذا كان لهذا التكرار هدف بلاغي في خلق الصورة الأدبية.

ان الرموز الأولية في اللغة واحدة، ولكن قدرة كل أديب على توليد صورته الجديدة، وأساليبه الخاصة في التعبير، هي التي تعطي الأدب حياته، وتجعل مقولة عنتره «هل غادر الشعراء من متردم» في غير مكانها.

وبسبب أهمية إعادة تركيب الرموز الأولية اللغوية في صور جديدة مبتكرة، أصبحت اللغة - بداتها - قيمة عند الأديب، فلم تعد اللغة مقصودة لنقل المعنى وحسب، وإنما هي مقصودة لذاتها، باعتبارها مكونا أساسيا من مكونات فنه، فاللفظ لم يعد مجرد أداة معنى وحسب، بل هو مفتاح الموسيقى العبارة. والأدب موسيقى مكتوبة وحدتها الكلمة بدلا من النغمة... ولذلك كانت للفظ قيمته الجمالية الخاصة، التي تنبع من ظلاله، ودلالاته الاستعمالية<sup>(١١٦)</sup>.

اللغة اذن، كيان حقيقي مستقل في الأدب، جدير بكل عناية، فهي غاية في ذاتها، وشيء مقصود لذاته من حيث الاختيار والتراكيب، وهي ترفض الإلف الاستعمالي. وتحميدها عند حدّ الإبلاغ<sup>(١١٧)</sup>.

ولعلّ في تعبير «ظلال المعنى» مفتاحا حقيقيا لفهم لغة الأدب، وقدرتها على التطور من حيث الدلالات، لأن فعل الخيال في اللفظة يحيلها الى المعنى الرمزي الذي يشكل أحد عوامل الصورة الأدبية، وهو بذلك يبرز فيها جمالا جديدا - غير مجرد - يمكن أن يصل الى المتلقي بالتأمل... ان كتابة الأدب تحتاج «إلى التصرف في المعاني المتداوله، والتعبير عنها بألفاظ غير الألفاظ التي عبر بها من سبق الى استعمالها<sup>(١١٨)</sup>» كما فهم نقاد العرب قديما. فمهمة الأديب اذن، تجاه اللغة، تلمس وجوه الشبه البعيدة بين اللفظة وما توحى به، لأن الأدب لا يقدم المعنى بوضوح وموضوعية، وإنما يترك للقارئ أن يصل اليه، ولذلك «تتطلب الكتب العظيمة محادثات عظيمة لإكمال معناها» كما يقول جريسونولد<sup>(١١٩)</sup>. ولذلك أيضا لا تكتفي اللغة الأدبية بالتطابق الدقيق بين الإشارة والمدلول، وإنما يكون لها جانبها التعبيري، الذي لا يكتفي بالتقرير وإنما يسمى إلى التأثير في موقف القارئ، حتى بالتشديد على الإشارة نفسها، وعلى الرمز الصوتي للكلمة<sup>(١٢٠)</sup>.

ان الأديب الجيد هو الذي يستطيع أن يقبل تحدي اللغة له، حتى يستطيع أن يصل الى سحر الكلمات فيها لأن هناك «سحرا» في الكلمات عندما تستدعي بلمسة ناجحة من الخيال، كما ان للكلمات «ألوانا» قادرة على خلق التأثير، والمزاج، والأجواء، الخاصة بالشخصيات<sup>(١٢١)</sup>، وهو ذلك التأثير الذي ينتقل الى القارئ. ومن

مهمة الأديب ان يصل الى سرّ هذه الكلمات، حتى يستطيع أن يكون قادرا على التعبير عن خصائص الأشياء بقسوتها ورقتها وحرارتها وبرودتها، ومن مهمته أن يكون قادرا على الاتصال بخصائص الأصوات والحركات، وحتى اللوحات الصغيرة في العيون والأيدي والأطراف، مما يستخدمه الناس في التعبير عن حالتهم العقلية أو العاطفية<sup>(١٢٢)</sup>.. كل ذلك حتى يتمكن من خلق شخصيات متخيّلة، تبدو وكأنها حقيقية، لأن «الأدب كلّ كذب، ومثل الكذب يجب أن يبدو صادقا، حتى يكون ناجحا» كما يقول بوشلر<sup>(١٢٣)</sup>.

مثل هذه اللغة. توسع «الهوة» بين مفردات اللغة ومدلولاتها الأصلية، وتخلق لكل أديب شخصيته اللغوية الخاصة<sup>(١٢٤)</sup> التي كثيرا ما تبتعد عن لغة الواقع، أو اللغة العامة البسيطة التي يلجأ اليها الاعلام.

ومع محافظة الأديب على قواعد لغته، فانه يساهم في حفظ اللغة، ويصبح أدبه مانعا دون تغييرها السريع، مع مساهمته في إثراء هذه اللغة، من داخلها.

فالى أي مدى يمكن أن تحمل هذه اللغة سمات تميزها عن لغة الاعلام؟

#### • • المعنى.... ومعنى المعنى:

لأن الموضوع الذي تعبر عنه اللغة، يفرز أسلوبه، كما تفعل الوسيلة بالرسالة، ولأن مواضيع الأدب شديدة التنوع، فان الأساليب الأدبية شديدة التنوع ايضا.. وبذلك يكون أسلوب الأديب الفرد فريدا، في مقابل الأسلوب الاعلامي الشامل. ولأن اللغة مقصودة بذاتها في الأدب - كجزء أساسي من جالياته - فان البحث فيها يوصل إلى اللغة الموحية غير المباشرة، في مقابل اللغة التقريرية للاعلام. ولأن اللغة موحية في الأدب فان التكرار فيها عيب، يجعل العبارات الجاهزة معيقة للتفكير المبتكر، بينما يصبح التكرار قاعدة إعلامية تهدف لتأكيد الفكرة (إذا نظرنا الى التكرار كنقل لتعابير الآخر، او كإعادة للتعبير نفسه في الرسالة الاعلامية الواحدة). وهي بسبب خصوصيتها أقل تأثرا بالعوامل الخارجية من لغة الاعلام، لذلك يكون الثبات النسبي لقواعدها وتراكيبها أوضح. ولأنها لغة تعبير عاطفي، فان حاجتها إلى التأمل أكثر. ولأن تعبيرها يكون انعكاسا لتمثل الواقع لا تصويراً له، فانها تهتم بالصدق الفني في مقابل الصدق الموضوعي الذي تهتم به لغة الاعلام. ولأنها تصدر عن توتر انفعالي فانها تكون مكثفة ومشحونة، تميل الى الإيجاز الذي يسعى الى التعبير عن الفكرة أو الموقف بأقل عدد من الكلمات.

هي إذن لغة شخصية، موحية، مكثفة. تعابيرها موسيقية، ومصورة، لا يصل إليها إلا صاحب الموهبة، وحين يصل، فليس شرطا أن يتقن لغة الاعلام البسيطة... مها كانت قوته الأدبية، فشكسبير مثلاً، كمؤلف مسرحيات جيدة - بالمقياس الأدبي - لو طلب منه أن يكون مراسلا لصحيفة لأخفق وخاب - على حدّ تعبير ارمتموس وارد<sup>(١٢٤)</sup> - لأنه لا يملك مؤهلات تلك المهنة، التي تجعل من صاحبها داعية ومحرضا ومنظما جماعياً أيضا، كما وصفت



الصحيفة من قبل لينين<sup>(١٠٥)</sup>.

ما طرأ عليها من كلمات دخيلة، أصبحت مألوفة بالاستعمال أو معرّبة. وقد جاءت هذه الولادة تدريجية - ربما من باب الاقتصاد في الجهد - واستطاعت بالتدريج أن تخرج عن قواعد اللغة الأم، التي ظلت لغة التعليم والتدوين.

وبسبب الانعزال الاقليمي - جغرافيا، وقصديا في بعض الأوقات - تباينت هذه اللهجات، وازداد التباعد بينها من جهة، وبينها وبين اللغة الام من جهة أخرى، حتى أصبح فهم هذه اللهجات صعبا على غير أبناء الاقليم الواحد، أو الأقاليم المتصلة به، ففقدت اللهجات موقعها كوسيلة اتصال بين أبناء الأمة الواحدة.. هذا إذا لم ننس تنوع التعبير بالفصحى بين الاقاليم، وخصوصيته في كل منها.

وبسبب الاتجاهات الاقليمية التي شهدتها الوطن العربي - وما يزال - ولد قصد جديد لتكريس بعض هذه اللهجات كلفات، وانساق إلى هذا القصد بعض الذين حاولوا ربط «اللغة المحكيّة» بالواقعية... فكانت الكتابة باللهجات العامية هي محصلة الاتجاهين، وبذلك دخلت اللهجات مرحلة جديدة، عزّزت قوتها اتجاهات أجهزة الاعلام - عن قصد أو دون قصد - في تكريس اللهجات المحلية في برامجها المؤثرة.. حتى صارت بعض اللهجات سائدة، وقريبة القبول من الناس، بسبب التكرار والتقدير، خاصة من قبل الوسائل المقبولة جماهيريا، كالاذاعة والتلفزيون والسينما.. حتى أصبحت اللغة العربية الفصحى غريبة في بعض البرامج....

فهل هذا التغيير طبيعي ومنطقي ومقبول... أم أنه يحمل في داخله خطورة تهدّد اللغة العربية الفصحى، العامل الأساسي من عوامل الوحدة العربية؟

لقد انطلقت الدعوة - السيئة القصد - الى تكريس العامية في اتجاهين: الأول يتمثل في الدعوة إلى شيوع اللهجات العامية لتحل في نهاية الأمر محل اللغة العربية الفصحى، والثاني يتمثل في الدعوة الى إبدال الحرف العربي وأسلوب الكتابة العربية بالحرف اللاتيني، أو الحرف العبري المتقطع<sup>(١٠٦)</sup>، بهدف فصل العربي عن تراثه، وتكريس التجزئة الاقليمية من خلال لغات إقليمية.

وقد نظر بعض المعنيين نظرة استخفاف إلى هذين الاتجاهين، وانطلقوا في دفاعهم عن العامية من منطلق التصوير الواقعي، وقرب اللهجات من الناس. وكان هذا المنطلق هو سلاحهم في الحوار الذي دار ويدور حول العامية والفصحى.. مع أن التصوير الواقعي يكون لذوات الشخص، لا للفهم.

فهل كان استخفافهم بالدعوات سيئة القصد ينطلق من الواقعية التي يتحدثون عنها؟ وهل هذا الاستخفاف يحمي اللغة العربية ويثرها؟

الواقع ان خطورة تحوّل اللهجات إلى لغات، قائمة كاحتمال، له في تاريخ اللغات أكثر من نموذج.. فاذا كانت الدعوة منطلقة من اتجاه لتكريس الاقليمية، فان هذا التكريس يمكن أن يؤثر الى درجة تحويل اللهجة إلى لغة... لأن «الخاصة المميزة للبنية الصرفية في لغة ما، شأنها شأن الخاصة المميزة للمتن الأساسي لمعجم المفردات، تتكون

إذ الأديب رجل خيال، والخيال هو الذي يضع لمستته على لفته... والصحفي رجل وقائع، ينقلها إلى الحد الذي لا يكون له - إذا نجح - أي صديق - وقد لا يكون له عدو ايضا<sup>(١٠٧)</sup>...

وإذا كانت اللغة، أية لغة، قد بدأت رموزا صوتية تشير الى مدلولات واقعية، ثم صارت رموزا تشكيلية تشير الى المدلولات نفسها، فان هذه الرموز، مع تنوع وسائل الاستعمال، أخذت تتجه الى التنوع في علاقاتها، وبالتالي في أساليب تعبيرها. كانت هذه الرموز تشير إلى (المعنى) أول الأمر، ومع التنوع صار بعضها يشير الى (معنى المعنى) أو ظلّه، أو ما يمكن أن يوحي به من خلال الصور. وكان الأدب أول الأمر هو الاعلام - شعرا وخطابة - ثم تطوّر الاعلام، فانفصل كهيئة، واحتفظ بالمعنى، حتى صار لكل موضوع أسلوبه اللغوي الخاص به، وصارت لغة الصحافة - كاعلام مثلا - تختلف عن لغة العلم أو الادب أو الدين - كما يرى هاريس<sup>(١٠٧)</sup>.

وهكذا تعود بنا الطريق الى ما عرفه علماء اللغة العرب، عندما بدأوا في وضع القواعد البلاغية للفتنا، فأشاروا - عند دراسة المجاز - إلى (المعنى ومعنى المعنى)<sup>(١٠٨)</sup>.. ونكون بذلك من العربية قد بدأنا، وإليها ننتهي..

فهل حفظنا للفتنا حق جهد علمائها فيها، في أدينا وإعلامنا كما يكون حق السلف على الخلف؟

## ●● بحثا عن موقف:

لحق باللغة العربية تغيير كبير منذ توحدت لهجاتها في لهجة قريش. كان هذا التغيير وليد عوامل كثيرة، منها الاحتكاك باللغات المجاورة التي قدّمت بعض دخيلها للغة العربية فاستوعبته أو ظل طارئا فيها، ومنها امتداد المساحة العربية إلى مناطق جغرافية جديدة، وجد فيها من قبل أقوام لهم لغات، أخذوا العربية لغة فتأثرت بلغاتهم، وبيئاتهم وأساليب نطقهم. ثم جاء انتجزو العربي إلى أقاليم يتقلص بينها الاتصال الثقافي، وتصبح اللغة العربية معزولة في كل إقليم، لتتطور داخليا ضمن هذه العزلة. وتبتعد عن اللغة الأم. ثم جاء الاستعمار، بكل ضغوطه، إلى الأقاليم العربية، وركز على اللغة التي توحد هذه الأقاليم، بفرض القيود على تعلمها واتصالها من ناحية، وبمحاولة لاستبدالها من ناحية أخرى بلغاته (التركية ثم الفرنسية والايطالية)، ولكن اللغة العربية استطاعت أن تصمد ضد محاولات الافناء، وان عجزت عن وقف التأثير فيها من قبل كل هذه العوامل، لأنها كظاهرة اجتماعية، لا تستطيع أن تكون بمعزل عما حوّلها.

وقد كانت محصلة هذه الضغوط متمثلة في استعادة بعض اللهجات العربية لقوتها، وولادة لهجات جديدة في الأقاليم العربية المختلفة، حتى صار لكل إقليم لهجته التي تختلف عن لهجة الاقاليم الأخرى، بمعجمها، وتراكيبها وحتى بالجرس الصوتي لرموزها الأساسية، ومركبات هذه الرموز.

وقد ولدت هذه اللهجات محكيّة، من رحم اللغة الأم، إضافة الى

الاعلام من خلال كل وسائله، حتى تتكون «عادة» التعبير بها لدى المواطن العربي، في كل اقليم.

والعربية تملك القدرة على هذا التطور الذي يسير باتجاه التعامل مع الحياة.. بكل طاقاتها على الاشتقاق والتوليد والاستيعاب، تلك الطاقات التي جعلت بلاشير يسجل: إني لأصرخ أن لغة الاعتزاز هي العربية الفصحى<sup>(١١٥)</sup>، لأن اللهجات - الذاكرة، عاجزة، وكثيرا ما تخون من يعتمد عليها.

حلّ الاشكالية إذن يكون بالاختيار الايديولوجي الحاسم، وبعده ستكون الممارسة هي الفعل الذي يخلق العادة، ويكسب اللغة حياتها، وقدرتها على التعبير عن كل مظاهر حياة الأمة، حتى اليومي منها، وينفي أي تفكير أو إحساس بالغرابة، ويفتح أبواب تطور حقيقي، تستطيع اللغة من خلاله ان تشكل لتعبّر عن أي مجال ثقافي، ولتؤكد وجودها كعامل أساسي للتوحيد في ثقافة الأمة الواحدة، لأنها تصبح لغة الاعلام فيها، ولغة الأدب، ولغة الاتصال، ضمن قواعدها القابلة للتطور، وان تنوعت أساليبها داخل كل مجال.

هناك خطر قائم هو: ان اللغة العربية كظاهرة اجتاعية، قابلة للحياة، وقابلة للتطور، وقابلة للموت أيضا، من خلال العوامل المتعددة التي تؤثر فيها، وان القصد، والتخطيط قادران على تقوية فعل العوامل، أو ابطاء هذا الفعل. ولما كانت اللغة العربية تجد الكثير من الاتجاهات التي تدفعها باتجاه العامية، خاصة من قبل وسائل الاعلام، التي يزداد ميلها الى اللهجات العامية، إضافة الى بعض الاتجاهات الاقليمية التي تقصد طعن اللغة الفصحى، وإضافة الى الممارسات الأدبية، خاصة في حوارات القصة والمسرح.. لما كانت اللغة العربية الفصحى تتعرض لكل هذه الضغوط - إضافة الى غيابها الكامل عن الاتصال الانساني في الحياة اليومية - فان اختيار الفصحى، بقصد مسبق، واعتمادها في التعليم، والاعلام والأدب، وتشجيع المحدثات بها في الحياة اليومية، يكون اختيارا للحياة، واختيارا للوحدة.. ويكون بالتالي اختيارا ضد التجزئة أو الموت.

## الهوامش

- (١) د. محمد خضر - فقه اللغة - مؤسسة نوفل - بيروت ١٩٨١ ص١٣.
- (٢) جون ليونز - اللغة وعلم اللغة (بالانجليزية) - جامعة كامبريدج ١٩٨١ - ص٤.
- (٣) جون ليونز - نفسه - ص٣٠٤.
- (٤) سانورا راب - مجلة (الكاتب) الأمريكية (بالانجليزية) يناير ١٩٦٨ ص١٣.
- (٥) عبد المنعم الصاوي - مجلة الدراسات الاعلامية عدد ٣١ - يناير - يونيو ١٩٨٣ - ص٤.
- (٦) ادوارد واكين - مقدمة الى وسائل الاتصال - ترجمة وديع فلسطين - القاهرة ١٩٨١ ص٣.
- (٧) د. أسعد علي، د. فيكتور الكك - صناعة الكتابة - بيروت ١٩٧٢ ص١١١.
- (٨) د. محمد خضر - مصدر سابق ص٦٧.

تبعا لطول سكنى الشعب المعنى في موطن منعزل عما عداه<sup>(١١٦)</sup> كما أن أية لغة، باستمرار ممارسة اللهجات فيها، قد تتجزأ، فاللغة اللاتينية قد تحولت إلى لهجات إقليمية غالية - رومانية، منقسمة بدورها الى عاميات محلية، في الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية الرومانية نفسها تتجزأ وتنقسم، وعندما تكونت في «غالية» القديمة وحدة سياسية جديدة. أصبحت لهجة المقر الملكي.. لغة مكتوبة، هي اللغة الفرنسية<sup>(١١٧)</sup> فما الذي يمكن أن يحمي اللغة العربية من تحوّل لهجاتها إلى لغات، ما دام التجزيء الاقليمي قائما، وما دامت اللهجات العامية قد دخلت مرحلة الكتابة، وما دام هذا الاتجاه يجد من يؤيده ويمارسه، عن وعي أو غير وعي.

إن القضية كلها بحاجة إلى موقف: قد يكون قرارا سياسيا وحدويا<sup>(١١٨)</sup> يعم التعليم ووسائل الاعلام جميعا، وقد يكون اختياراً من قبل من يمارسون الكتابة للأدب، ووسائل الاعلام..

ان كل المحاولات السيئة القصد، لم تستطع أن تحقق وجود اللغة لأية لهجة... ولكن هذا الفشل لا يجعلنا قادرين على الاطمئنان إلى المستقبل، فالتغير في اللغة بطيء، ولكنه مستمر، كما أن جذور الدعوات الاقليمية قائمة... واذا كانت محاولات وضع «قواعد» للهجة المحلية المصرية قد فشلت، فربما جاء - مستقبلا - من يملك طاقة سبويه ليضع هذه القواعد باعتبارها استنباطية.. - وربما جاءت سلطة إقليمية - مرتدة إلى الماضي السحيق - لتصدر قرارا سياسيا شبيها بقرار ولادة اللغة الفرنسية، في قطر عربي ما.

فما الذي يمكن ان يحمي لغة الوحدة العربية من مثل هذا المصير؟

ان الدعوة، حين تستبعد القصدية السيئة، تقف كاشكالية: دعاة الفصحى لهم أسبابهم، ودعاة العامية - في مواضعها - لهم أسبابهم الموازية. وفي الاشكالية، لا يكون الحلّ الا اختيارا، يغلب طرفا على طرف، ولكن اختيار واع، له هدفه الاجتماعي، الذي يخرج عن جزئيات الصراع.

يبدأ هذا الاختيار من القيمة التي نعطيها للغة، فاذا اعتبرناها ايدولوجيا الأمة، التي تختارها الأمة بحثا عن احترام الذات<sup>(١١٩)</sup> أو اعتبرناها دليل هوية المجتمع، وأهم عناصر توحيده<sup>(١٢٠)</sup>، فان اختيارنا سيكون إلى جانبها، بغض النظر عن كل الآثار التي ستقع على اللهجات..

وهذا الاختيار يسنده الخوف على تجزيء اللغة من ناحية، والامكانية التي تملكها اللغة العربية الفصحى من ناحية أخرى.. لمن يعرفها جيدا.

واللغة - كظاهرة مكتسبة - تلعب الدور الحاسم في نموّها، والممارسة العملية.. وإذا توقفت هذه الممارسة، اتجهت اللغة إلى الفقر والعجز..

وامكانية اللغة العربية قائمة: ان المتعلّم لا يحكي بعاميته المطلقة بل يطور فيها، فتموت كلمات، وتنتش من الفصحى كلمات. والتركيز يدفع بالعجلة في اتجاه الفصحى، خاصة إذا مورست في كل مجالات الحياة، باختيار قصدي، في الأدب بكل اشكاله، وفي

- (٩) بانفيلوف - دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ترجمة د. ميشال عاصي - دار ابن خلدون - بيروت ١٩٧٩ ص ٣٤.
- (١٠) جون ليونز - مصدر سابق ص ٢.
- (١١) د. عبد القادر حاتم - الرأي العام وتأثره بالدعاية والاعلام - مكتبة لبنان - بيروت ١٩٧٣ ص ٢٢١.
- (١٢) مارشال ماك لوهان - كيف نفهم وسائل الاتصال - ترجمة د. خليل صابات وآخرين - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٥ ص ٩٥.
- (١٣) سونورا راب - مصدر سابق ص ١٢.
- (١٤) ادوارد واكين - مصدر سابق ص ٣٥.
- (١٥) مارشال ماك لوهان وكوينتين فلور - الوسيلة هي الرسالة (بالانجليزية) بنجون - لندن ١٩٧١.
- (١٦) د. ياسين خليل - مجلة المستقبل العربي - بيروت عدد ٥٩ يناير ١٩٨٤ ص ٥٢.
- (١٧) د. حسين الحاج علي - علم الاجتماع الادبي - المؤسسة الجامعية - بيروت ١٩٨٢ ص ١٧٩.
- (١٨) جون ليونز - مصدر سابق ص ٦.
- (١٩) محمد الهادي الطرابلسي - تنمية اللغة العربية في العصر الحديث - وزارة الشؤون الثقافية - تونس ١٩٧٨ ص ٣٨.
- (٢٠) مصطفى لطفي - اللغة العربية في إطارها الاجتماعي - معهد الالفاء العربي - بيروت ١٩٨١ ص ١٠٣.
- (٢١) د. ه. هيمز - علم اللغة الاجتماعي (تحرير برايد - بالانجليزية) بنجون - لندن ١٩٧٩ ص ٢٤٨.
- (٢٢) محمود منقذ الهاشمي - الرؤية النقدية - اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٨٠ ص ٥٠.
- (٢٣) د. حسين الحاج علي - مصدر سابق ص ١٨٤.
- (٢٤) د. محمد حسن عبد العزيز - لغة الصحافة المعاصرة - المركز العربي للثقافة والعلوم بيروت (٤) ص ٦ - ٧.
- (٢٥) نفسه ص ١٨٤.
- (٢٦) مصطفى لطفي - مصدر سابق ص ٢٦.
- (٢٧) د. أسعد علي، د. فيكتور الكك - مصدر سابق ص ٥٤.
- (٢٨) مرسيل كوهان - دراسات لغوية في ضوء الماركسية - مصدر سابق ص ٨٠.
- (٢٩) نفسه ص ٨١.
- (٣٠) نفسه ص ٨٢.
- (٣١) جون ليونز - مصدر سابق ص ٣٠٤.
- (٣٢) نفسه ص ١٧٨.
- (٣٣) مرسيل كوهان - مصدر سابق - ص ٨٠.
- (٣٤) د. محمد حسن عبد العزيز - مصدر سابق ص ٤١.
- (٣٥) سانورا راب - مصدر سابق ص ١٣.
- (٣٦) د. حسن الحاج علي - مصدر سابق ص ١٨٠ وما بعدها.
- (٣٧) د. عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص ٢٢٢.
- (٣٨) د. عبد الصبور شاهين - في علم اللغة العام - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٠ ص ١٧٤.
- (٣٩) د. عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص ٢٢٣.
- (٤٠) د. محمد حسن عبد العزيز - مصدر سابق ص ٧٨.
- (٤١) ادوارد واكين - مصدر سابق ص ٣٥.
- (٤٢) نفسه ص ٣٦.
- (٤٣) لوهان وفلور - مصدر سابق ص ٢٦.
- (٤٤) فيكتور ايسترن - دراسات لغوية في ضوء الماركسية - مصدر سابق ص ٤٨.
- (٤٥) منير بكر التكريتي - نظرات في الأدب والاعلام - بغداد ١٩٧٨ ص ١٢٤.
- (٤٦) د. عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص ٢٢٠.
- (٤٧) بوريس سربير نيكوف - دراسات لغوية في ضوء الماركسية - مصدر سابق ص ٢٨.
- (٤٨) لوهان وفلور - مصدر سابق ص ٦٧.
- (٤٩) راندولف كويرك - الأسلوب والاتصال في اللغة الانجليزية (بالانجليزية) لندن ١٩٨٢ ص ٣٠.
- (٥٠) لوهان وفلور - مصدر سابق ص ١٢٠.
- (٥١) منير بكر التكريتي - مصدر سابق.
- (٥٢) د. أسعد علي - فن الحياة فن الكتابة - الاتحاد الوطني لطلبة سوريا ١٩٧٧ ص ٢٥١.
- (٥٣) ايرفين تريب - علم اللغة الاجتماعي - مصدر سابق ص ٢٣٤.
- (٥٤) لوهان وفلور - مصدر سابق ص ٩.
- (٥٥) د. حسين جمعة - قضايا الابداع الفني - دار الاداب - بيروت ١٩٨٣ ص ١٣.
- (٥٦) منير بكر التكريتي - مصدر سابق ص ٢٠.
- (٥٧) د. عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص ١٧٦.
- (٥٨) هادي نعمان الهيبي - الاتصال والتغير الثقافي - وزارة الثقافة العراقية ١٩٧٨ ص ١١.
- (٥٩) د. عبد الباسط عبد المعطي - الاعلام وتزييف الوعي - دار الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٧٩ ص ١٣.
- (٦٠) د. أسعد علي - مصدر سابق ص ٣١ - نقلا عن عز الدين اسماعيل في الادب وفنونه.
- (٦١) د. عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص ١٧٦.
- (٦٢) فاروق خورشيد - بين الأدب والصحافة - منشورات اقرأ - بيروت ١٩٧٢ ص ٧٦.
- (٦٣) مصطفى لطفي - مصدر سابق ص ٨٣.
- (٦٤) والاس ستنجر - مجلة الكاتب الاميركية - اكتوبر ١٩٦٣ ص ٢٤.
- (٦٥) لوهان - مصدر سابق ص ٢٢٨.
- (٦٦) السيد يسين - التحليل الاجتماعي للأدب - دار التنوير بيروت ١٩٨٢ ص ١١٣.
- (٦٧) برايت وراما نوجان - علم اللغة الاجتماعي - مصدر سابق ص ١٥٧.
- (٦٨) أريك بارنو - الاتصال بالجمهور - ترجمة صلاح عز الدين وآخرين - مكتبة مصر ١٩٦٢ ص ١٢٥.
- (٦٩) نفسه ص ١٢٥.
- (٧٠) نفسه ص ١٦٩.
- (٧١) لوهان - مصدر سابق ص ٣٥١.
- (٧٢) جون ليونز - مصدر سابق ص ١٨٣.
- (٧٣) برايت وراما نوجان - مصدر سابق ص ١٥٩.
- (٧٤) لوهان - مصدر سابق ص ٣٥١.
- (٧٥) حسن محمد طوالبه - نحو تخطيط موحد للاعلام العربي - مركز التوثيق الاعلامي - بغداد ١٩٨٣ ص ٩٥.
- (٧٦) د. عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص ١٥٤ وما بعدها.
- (٧٧) راندولف كويرك - مصدر سابق ص ١٤.
- (٧٨) د. ر. ماننيكار - التدفق الحر من جانب واحد - ترجمة فائق فهم - الرابطة العربية لمعاهد التدريس والتدريس الاعلامي - بنغازي - ليبيا.
- (٧٩) د. عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص ٣٢٨.
- (٨٠) د. حامد ربيع - المستقبل العربي - مصدر سابق ص ٩٩.
- (٨١) أريك بارنو - مصدر سابق ص ٨٥.
- (٨٢) راندولف كويرك - مصدر سابق ص ٨.
- (٨٣) نفسه ص ١٥.

- (٨٤) لوهان - مصدر سابق ص ٢٢٩ .
- (٨٥) محمود منقذ الهاشمي - مصدر سابق - ص ٥٠ وما بعدها .
- (٨٦) د. محمد حسن عبد العزيز - مصدر سابق ص ٧٨ وما بعدها .
- (٨٧) مصطفى لطفي - مصدر سابق ص ٨٣ وما بعدها .
- (٨٨) د. فوزية فهم - الفن الاذاعي - المركز العربي للثقافة والعلوم - بيروت (?) ص ٤٨ .
- (٨٩) نفسه ص ٤٩ .
- (٩٠) لوهان - مصدر سابق ص ٢٣١ .
- (٩١) نفسه ص ٣٥١ .
- (٩٢) لوهان وفلور - مصدر سابق ص ٤٨ .
- (٩٣) سيبيلا مارشال - الكتابة الابداعية (بالانجليزية) - ماكميلان لندن ١٩٧٤ ص ٢٥ .
- (٩٤) والاس ستنجر - مصدر سابق ص ٢١ .
- (٩٥) نفسه ص ٢٤ .
- (٩٦) فاروق حورشيد - مصدر سابق ص ١٧١ .
- (٩٧) نفسه ص ١٦٩ .
- (٩٨) د. أسعد علي، د. فيكتور الكك - مصدر سابق ص ٤٦ .
- (٩٩) أريك بارنو - مصدر سابق ص ١٢٥ .
- (١٠٠) رينيه ويليك واوستن وارين - نظرية الأدب - ترجمة محي الدين صبحي دمشق (?) ص ٢٣ .
- (١٠١) ريتشارد بويل - مجلة (الكاتب) الاميركية - أكتوبر ١٩٦٧ ص ٢٠ - ٢٢ .
- (١٠٢) والاس ستنجر - مصدر سابق - ص ٢٤ .
- (١٠٣) مارك شور - مجلة (الكاتب) الاميركية - يونيو ١٩٦٧ ص ١٤ .
- (١٠٤) لوهان - مصدر سابق ص ٢٣٣ .
- (١٠٥) نفسه ص ٢٣٩ .
- (١٠٦) دوان برادلي - المجردة ومكانها في المجتمع الديمقراطي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة (٩) ص ٣٤ .
- (١٠٧) مصطفى لطفي - مصدر سابق - ص ٤٥ .
- (١٠٨) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الاعجاز - مكتبة القاهرة ١٩٦١ ص ١٧٣ .
- (١٠٩) د. ياسين خليل - المستقبل العربي - مصدر سابق ص ٤٥ .
- (١١٠) بوريس سربر نيكوف - مصدر سابق ص ٢٨ .
- (١١١) مرسيل كوهان - مصدر سابق ص ٨٢ .
- (١١٢) د. نايف خرما - أعضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة - علم المعرفة - الكويت ١٩٧٨ ص ٤٥ .
- (١١٣) راندولف كوبرك - مصدر سابق - ص ٥٩ .
- (١١٤) د. نايف خرما - مصدر سابق ص ٢٢٩ .
- (١١٥) محمد السويبي - تنمية اللغة العربي - مصدر سابق ص ١٨ .

## دار الآداب

### تقديم

### روايات مترجمة

- زوربا
- نيكوس كازنتزاسكي - ترجمة جورج طرابيشي
- العرب
- ماريو بوزو
- الموت السعيد
- البير كامو - ترجمة عايدة مطرجي ادريس
- الغريب وقصص أخرى
- البير كامو - ترجمة عايدة مطرجي ادريس
- الطاعون - البير كامو
- ترجمة الدكتور سهيل ادريس
- قصة حب
- اريك سيغال
- قصة أوليفر
- اريك سيغال
- رجل وامرأة وولد
- اريك سيغال
- الموت حيا
- بيار دوشين
- صورة الفنان في شبابه
- جيمس جويس - ترجمة ماهر البطوطي
- الجحيم
- هنري باربوس - ترجمة جورج طرابيشي
- الشوارع العارية
- فاسكو براتوليني - ترجمة ادوار الخراط
- الفارس الخامس
- دومينيك لابير ولاري كوليتز
- ترجمة المحامي جلال مطرجي
- مدام بوفاري
- غوستاف فلوير
- ترجمة د. محمد مندور
- حزن وجمال
- رواية للكاتب الياباني كاواباتا
- ترجمة د. سهيل ادريس